الهيئة الاجتماعية عند بعض المتوحشين (١)

لجناب السيدة ياقوت صروف

ايتها السيدات الفاضلات

صرحتُ في الاجتماع الماضي بان موضوع خطابي يكون حياة بعض الشعوب ولكن حدث ما الجأني الى اتخاذ موضوع آخر وهو وصف الهيئة الاجتماعية عند بعض الشعوب المتوحشة فارجو من حضراتكنّ الصفح وسبل ذيل المعذرة

ان هذا الموضوع واسع جدًّا ولا يمكنني ان اذكر الآن كل ما وقفت عليه فيه ولذلك اخترت منهُ ما يمكنني تلاوتهُ في هذا الوقت القصير. ان من الناس من يظن ان الانسان خُلق في حالة التمدُّن كالشعوب المتمدنة العائشة اليوم وان المتوحشين قد انحطوا عن تلك الحالة على تمادي الزمان ومنهم من يظن العكس اي ان الانسان خلق في حالة التوحش كالشعوب المتوحشة الموجودة اليوم وان المتمدنين قد ارتقوا من تلك الحالة على تمادي الزمان . ومنهم من يتوسَّط بين المذهبين فيقول ان الانسان خلق في حالة متوسطة ثم تقدم بعضهُ وتاخَّر بعضهُ وهو على ظني المذهب الاصح لان الذي ينظر الى احوال الشعوب المتمدنة يرى فيها اشياء كثيرة تدل على انهم كانوا وقتًا ما في حالة دون الحالة التي هم عليها الآن ومن ينظر في حالة الشعوب المتوحشة يرى ان عندهم بعض المبادىء الفاضلة التي تدل على اصلهم الرفيع . ولمَّا لم يكن قصدي الاَّ وصف الهيئة الاجتماعية عند بعض المتوحشين حق لي ان ابينها كما هي سواء كانت تلك الشعوب في حالة ارقى من حالتها الاولى او في حالة ادنى منها اوكانت لم تزل على الحالة التي خُلقت عليها

من اوَّل ما يمتاز بهِ المتوحشون على المتمدنين انهم لا يحسبون الزواج قرابة كما سيجيء وان ليس عندهم اعتبار المرأة ولا اهمية لها وان افكارهم تختلف عن افكار اهل التمدن . وما يحسبهُ اهل التمدن مخالفًا للانسانية لا يحسبهُ المتوحشون كذلك يشهد بذلك ما قالهُ احد السودان لاحد المبشرين وهو انهُ يجوز ان اتصور جوعًا واختي عندها اولاد يمكنها ان تبيعهم وتحياتهم غريبة ومضحكة فعند التحية يجلس الوضيع ويقف الرفيع

واغرب من ذلك انهُ عندما تلد امرأة يكون النفاس لزوجها فينام في الفراش ويلف جيدًا حتى لا يصل اليهِ الهواء البارد ويأكل اللحوم المفذية ويشرب المشروبات الطيبة التي كان يجب ان تشربها امرأتهُ كأنهُ هو النفساء وليس المرأة . وهذه العادة جارية عند قبائل كثيرة . ومن جملة معتقدات بعض

(١) خطبة القتها في جمعية باكورة سورية

الموحشين ان الانسان يقطع بطائع الحيوانات التي يأكل لحومها فيجتهدون كثيرًا في الحصول على لحوم الحيوانات القوية كالاسود والنمورة لزعمهم ان اكل لحمها يجعلهم اشداء مقتدرين ويجتنبون اكل لحوم الحيوانات الجبانة كالأيل والارنب خوفًا من ان تصير اخلاقهم كاخلاقها. وبعضهم يبلعون الطحلب حصًى ليصير قلبه قاسيًا لا يحس بمصيبة الغير. ومنهم من يخاف من تصوير صورته زعمًا ان قوة ليست بقليلة تذهب منه الى الصورة وتضعفه. وحكي ان احد السياح كان يقرأ جرنالًا امام بعض الموحشين فلم يقدروا ان يفهموا الا ان الجرنال دواء لوجع العين. وكذلك كان رجل آخر يقلب صفحات كتاب ويخبرهم بعدد الصفحات التي قلبها فكانوا يعدونها ويجدون كما قال فاكدوا ان في الكتاب روحًا تخبره بعدد الصفحات ولم يقدروا ان يفهموا انه يعرف عدد الوجوه من الارقام العددية

وعند الموحشين رغبة شديدة في التحلي وعند بعضهم تكون المرأة عارية من كل زينة وما ذلك الا لان الرجل يتعدى عليها ويسلبها حتها فيتحلى هو ولا يسمح لها بالتحلي. والغالب ان سكان الاقاليم الحارة يزينون اجسادهم وسكان الاقاليم الباردة يزينون ملابسهم. والذين اجسادهم عارية ينقشونها بالوان زاهية جدًا فالاستراليون مع كل انحطاطهم يرغبون جدًا في المنظر الحسن فيثقبون انوفهم ويعلقون فيها عظمة اغلظ من الابهام طولها من ستة قراريط الى سبعة ولا يبالون بالالم وصعوبة التنفس التي تحدث من جرى ذلك طمعًا بالمنظر الحسن. وبعض القبائل تكون قلائدهم من اسنان القرود. قال بعضهم انه رأى امرأة احد المتقدمين ولم يكن في اصابعها اقل من اثنين وسبعين خاتمًا. وهم يتزينون بكل ما وصلت اليه يدهم من النحاس والحديد والقصدير والعاج والحجارة والصدف والزجاج والخشب والزور واسنان الحيوانات وغير ذلك. ويقتنون اعتناء زائدًا بشعور رؤوسهم ولا يكتفون بلبس الحلى بل يثقبون اجسادهم ليعلقوا بها زينتهم فبعضهم يثقبون وجناتهم ويعلقون في كل وجنة حجرًا وبعضهم يثقبون الشفة السفلى ويعلقون بها قطعة من الخشب وهم في الزينة طرق اخرى كثيرة لا يسعني ذكرها

وما يختلف به الموحشون عن المتمدنين اختلافًا بينًا نظرهم الى الزواج والقرابة فانهم لا يعتبرون الزواج قرابة صحيحة بل انما يعتبرون النساء اماء او خادمات حتى لو سئل احدهم لماذا يرغب في الزواج لاجاب لاني مضطر الى من يجلب مائي وحطبي ويصنع طعامي ويحمل امتعتي. وقد قال بعضهم ان نساء الموحشين قلما تخلو اجسادهن من آثار الجراح وطعن الرماح وكلما زادت المرأة جمالًا زاد تعرضها لهذه المصائب. واما العاطفة بين الزوج والزوجة لا وجود لها بينهم وليس عندهم اشعار ولا اقوال تدل على ذلك بل قد تطرف بعض الباحثين في المسئلة وقال ان الزواج معدوم عند بعض القبائل وان الاولاد يحسبون كبعض المقتنيات التي تشترك بها القبيلة كلها وقال بعضهم لا يوجد من اسماء القرابة في جزائر صندويج الا الاب والام والاخ والاخت والابن والحفيد. والغالب بين القبائل المتوغلة في

التوحش انهم يخطفون النساء خطفًا اي ان كل رجل يجتهد ان يختطف له زوجة او اكثر من قبيلة غير قبيلته وذكر غيرهُ ان سكان اميركا الاصليين كان يتوقف عدد زوجاتهم على قوتهم فالقوي منهم يكون له زوجات كثيرات والضعيف لا زوجة له وان تزوج بواحدة فكثيرًا ما ياخذها منهُ القوي وهولاء المسكينات يخضعن لحكم الرجال القساة غير متذمرات . وذكر آخر ان اهل استراليا يخطفون زوجاتهم خطفًا فيترقب الشاب الفتاة ويضربها بنبوت كبير يرميها بهِ على الارض ثم يجرها الى كوخهِ جرًا فاذا قدر اهلها ان يختلصوها منهُ في الساعة فطوبى والاَّ صارت له زوجةً او بالحري امةً ذليلة . واغرب من هذا طريقة الزواج عند بعض سكان اواسط اسيا فانهُ اذا اراد رجل ان يتزوج بفتاة ركبت جوادًا واطلقتهُ حتى اذا كان في اشد سرعتهِ تبعها الرجل فاذا ادركها صارت له زوجةً والاَّ فلا وكذلك ما يحدث في جزائر فلبين وهو انهُ اذا اراد رجل ان يتزوج بفتاة يرسلها ابوها الى الغابات قبل شروق الشمس ثم يسمحون للرجل ان يتبعها بعد ذهابها بساعة فاذا ادركها ورجع بها قبل الغروب صارت له زوجةً والاَّ فلا . وذكر آخران هنود شيلي يدفع الرجل منهم مهر الفتاة لابيها ثم يخطفها خطفًا او يتظاهر انهُ يفعل ذلك ويمضي بها الى الغابات ويقيم هناك زمانًا . هذا والبحث في عوائد الشعوب واخلاقهم من المباحث اللذيذة وقد تفرغ لهُ علماء كثيرون وكتبوا فيهِ مجلدات كبيرة ويظهر منها ان اعتبار النساء بين الشعوب يدل في كل زمان ومكان على درجة تمدن الشعوب او توحشها فكأن المرأة هي سبب التمدن او كأن اعطاءها حقها من الكرامة هو غاية التمدن . وشواهد ذلك كثيرة جدًا فان المصريين واليونانيين والرومانيين كانوا يعتبرون نساءهم اشد الاعتبار وكذلك الشعوب الاوربية والاميركانية المحسوبة الآن في مقدمة الشعوب المتمدنة تعتبر نساءها غاية الاعتبار . وكل الشعوب المتوحشة تحتقر نساءها . فبين التمدن واعتبار النساء من الجهة الواحدة والتوحش واحتقار النساء من الجهة الاخرى علاقة ثابتة وما شذَّ عن ذلك فنادر لا يبنى عليهِ حكم

الكسوف

انَّا بسطنا الكلام على خسوف القمر في الجزء الثامن من مقتطف هذه السنة فبقي علينا ان نذكر ما يتعلق بكسوف الشمس . وفهم ذلك لا يعسر على من اتضح لهُ الخسوف . اما الكسوف فيحدث من حيلولة القمر بين الشمس والارض ووقوع ظلهِ على الارض . وشكل ظلهِ مخروطيٌّ كشكل ظل الارض يحيط بهِ ظُلَيل كالظُلَيل المحيط بظل الارض الاَّ انهُ اقصر من ظل الارض طولاً واقل منهُ غلظًا لان القمر اصغر من الارض جرمًا . فلذلك لا يعمُّ ظلهُ الارض كلَّها متى وقع عليها كما يعمُّ ظلُّ الارض في